داود علیہ السلام

داود عليه السلام

هو نبي الله داود بن إيشا بن عابر يمتد نسبه إلى يهوذا بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وهو من أنبياء بني إسرائيل، وقد جمع الله تعالى له بين النبوة والمُلك وأعطاه خيري الدنيا والآخرة، فكان نبيًّا وملكاً.

وهو عليه السلام أحد الرُّسل الذين نزلت عليهم الكتب السماوية بعد موسى عليه السلام إذ آتاه الله الزبور.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [الإسراء: ٥٥].

بعث الله سبحانه وتعالى داود عليه السلام في عصر طالوت، وكان طالوت من ملوك بني إسرائيل، وكان يدين بدين موسى عليه السلام ويحكم اليمن وأطرافها.

بنو إسرائيل يطلبون ملكاً:

توالت القرون على بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام، وكان خلال ذلك يتعرضون لغزوات الأمم المجاورة، ويبعث الله فيهم الأنبياء، ويتولى أمرهم قضاة منهم يحكمون بشرائع الأنبياء، وأحياناً يكون الأنبياء أنفسهم هم القضاة، وكان من قضاة بني إسرائيل نبي اسمه (شمويل) وكان ذلك بعد وفاة موسى بأكثر من ثلاثة قرون، وكان له والدان عيَّنهما للقضاء؛ فلم يعدلا، فخاف بنو إسرائيل أن يفسد

عليهم الأمر بعد شمويل.

فجاءوه وألحُّوا عليه أن يقيم عليهم ملكاً يأتمرون بأمره، ويقودهم إلى قتال أعدائهم من الفلسطينيين، الذين كانوا يفوقونهم عدداً وعدة، والذين طالما أغاروا عليهم وآذوهم وساموهم سوء العذاب.

وكان شمويل عارفاً بطبائع بني إسرائيل، فهم الذين قالوا لموسى عليه السلام من قبل: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٤].

ومن أجل ذلك توقَّع منهم عدم الوفاء بما تعهَّدوا به.

فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ [البقرة: ٢٤٦] فأجابوه منكرين عليه ما توقعه منهم فقالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ولكن لم يصدقوا مع نبيهم شمويل، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

عندئذٍ أخبرهم شمويل أن الله قد جعل عليهم (طالوت) ملكاً، وكان طالوت هذا شابًّا من بني إسرائيل راعياً لقطيع من البقر، وقد زاده الله بسطة في العلم والجسم، ولكن ليس عنده من المال ما يؤهله للمُلك والسلطان.

ومن أجل ذلك اعترض بنو إسرائيل على تمليكه عليهم وقالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

﴿وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٢٤٧].

ثم كشف لهم نبيهم العلامة التي يعرفون بها هذا الملك وفضله عليهم، وهو أن يرجع إليهم التابوت الذي كان أخذه منهم أعداؤهم الذي فيه بقية من ألواح التوراة؛ فيكون ذلك آية على صلاح هذا الملك، ورضا الله عنه.

فقال لهم: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾ [البقرة: ٢٤٨][1].

طالوت يختبر جيشه:

دعا طالوت قومه للجهاد في سبيل الله حثّهم على قتال أعدائهم الذين أذلّوهم من قبل.

فاجتمع تحت لوائه جيش كبير وساقهم إلى قتال الفلسطينيين الذين كانوا يقودهم (جالوت) الذي اشتهر بالشجاعة والبأس.

وسار طالوت بجنوده وابتعد بهم عن ديارهم وأصبحوا قريبين من لقاء العدو، فأراد طالوت أن يختبرهم ليعرف مدى عزيمتهم وقوة إيمانهم حيث قال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فلمَّا جاءوا النهر خالف معظمهم أمر طالوت، ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

---

(١) «تاريخ الأنبياء»، محمد الطيب النجار. (بتصرف).

داود عليه السلام وقتله جالوت:

اجتاز طالوت النهر مع الذين صبروا على العطش والتعب، ولمَّا تراءى الجمعان، وظهرت قوة جالوت، وما أعدَّه للقاء طالوت؛ قال فريق منهم وقد هالتهم كثرة العدو: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

فردَّ عليهم المؤمنون المخلصون الذين يظنون أنهم ملاقو الله فقالوا لهم: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩].

هنا وقف طالوت ملك بني إسرائيل يحرضهم على قتال جالوت وجنوده.

ويقول: مَن قتل جالوت زوَّجته بابنتي وأشركته في ملكي.

عندئذٍ قال داود لطالوت: إذا سمحت لي بقتاله فإنني سأنتصر عليه بإذن الله تعالى.

فسأله طالوت: يا داود هل اشتركت من قبل في حرب؟

فأجابه: نعم مع الأسود والذئاب والنمور، عندما كانت تهاجم أغنامي فكنت أتصدى لها وأهزمها.

وأصرَّ داود على قتال جالوت، ولم يتطوع أحد غير داود لمنازلة جالوت، ودعا طالوت لداود بالنصرة والغلبة، وقال له: إنني معجب بقوة إيمانك وشجاعتك.

وكان داود عليه السلام يرمي بالمقلاع رمياً عظيماً، ولا تخطئ إصابته أبداً.

وفي حالة من التعجب والدهشة لدى الجيشين حمل داود مقلاعه والحجر ودخل ميدان المعركة ووقف أمام جالوت.

فقال له جالوت بكل غرور: أأنت الذي ستنازلني؟

فأجابه داود عليه السلام: نعم.

فسأله: وبأي سلاح؟

فقال له: بهذه الحجارة التي في يدي.

فقال جالوت: أنا أأسف على أن أقتلك فإنك شاب مغرور.

فقال داود: أمّا أنا فلا أأسف على قتلك إذا لم تؤمن بالله.

عندئذٍ وضع داود حجراً في مقلاعه ورمى به جالوت ففلق رأسه وفرَّ جيشه مهزوماً.

فوفى له طالوت بما وعده، فزوَّجه ابنته وقلَّده الحكم.

ويصف الله سبحانه وتعالى هذا النصر المبين فيقول تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١][1].

معجزات داود عليه السلام:

مَنَّ الله سبحانه وتعالى على داود عليه السلام بنعمٍ كثيرة لم يعطها لأحدٍ من خلقه.

منها أنَّ الله سبحانه وتعالى ألانَ له الحديد حتى كان يفتله بيده، لا يحتاج إلى نار أو مطرقة، فيصنع منه الدروع التي تحفظ الجنود من

---

(١) «معجزات الأنبياء»، محمد عبدالله. (بتصرف).

ضرب السيوف وطعن الرماح في الحروب.

قال تعالى: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١﴾ [سبأ: ١٠، ١١].

وكان عليه السلام يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم، فكان يأكل ويطعم أولاده ويتصدق منها على الفقراء والمساكين.

قال رسول الله ﷺ: «**إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده**»(١).

تسبيح داود عليه السلام:

أنزل الله سبحانه وتعالى على داود عليه السلام كتاباً هو «الزبور»، وقد حوى هذا الكتاب المقدس أصول الفضائل، وكان داود عليه السلام يترنم بآياته حينما يبلغها الناس، وقد منحه الله الصوت الجميل، فكان الكون كله يردد بترديده.

وقد ذلَّل الله له الجبال تردد معه التسبيح في الليل والصباح، وكذلك الطير كانت تجتمع حوله عند تسبيحه لله وتشاركه في التسبيح وهذا ما ذكره الله سبحانه فقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٩﴾ [ص: ١٨، ١٩](٢).

استغفار داود عليه السلام:

دخل رجلان على داود عليه السلام وهو جالس في محرابه، ففزع

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٢٠٧٢)، وأحمد في «مسنده»: (٢٢٠).

(٢) «تاريخ الطبري»، الطبري. (بتصرف).

منهم لهول المفاجأة، وظن أنهما يريدان شرًا به.

فقالا له: لا تخف، نحن خصمان تعدى بعضنا على بعض، فجئنا نحتكم إليك، فاحكم بيننا بالحق ولا تكن جائراً، وأرشدنا إلى الطريق المستقيم.

ثم أخذ أحدهما يعرض شكواه.

فقال: إن أخي يملك تسعاً وتسعين نعجة، وأنا أملك نعجة واحدة فطمع في نعجتي، وأراد أن يأخذها مني ويضمها إلى نعاجه، وقد حاولت إقناعه بفساد طلبه لكنه غلبني في جداله وخصامه.

أنكر داود عليه السلام على صاحب النعاج الكثيرة أن يأخذ من أخيه نعجته فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [ص: ٢٤].

وهنا أدرك داود عليه السلام أنه تسرَّع في حكمه، وحكم لمصلحة الذي سمع حجَّته دون أن يسمع حجة الطرف الآخر، فكان ذلك خطأ منه؛ حينئذٍ رجع داود عليه السلام إلى ربه منيباً مستغفراً إليه راكعاً خاشعاً، فتجاوز الله سبحانه وتعالى عنه هذا الخطأ.

قال تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ۝٢٤ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٢٥﴾ [ص: ٢٤، ٢٥].

بين داود وسليمان عليهما السلام:

أقبلت غنم ليلاً على مزرعة ولم يكن معها راعٍ، فأفسدت الزرع وأتت عليه.

فتخاصم صاحب الحرث وصاحب الغنم إلى داود عليه السلام.

فقال أصحاب المزرعة: يا نبي الله، إنّا حرثنا أرضنا وزرعناها وتعهّدناه حتى إذا آن أوان حصادها جاءت غنم هؤلاء اليوم ليلاً فانتشرت في زرعنا وأكلته حتى لم يبق منه شيء.

فقال داود لأصحاب الغنم: أحقًّا ما يقوله هؤلاء؟

قالوا: نعم.

فقال لأصحاب المزرعة: كم تقدّرون ثمناً لزرعكم؟

فذكروا له الثمن.

فقال لأصحاب الغنم: كم تقدرون ثمناً لأغنامكم.

فقدّروا بثمن ما.

فلمّا رأى داود عليه السلام الثمنين متقاربين قال لأصحاب الغنم: ادفعوا أغنامكم إلى أصحاب المزرعة تعويضاً لهم عن زرعهم.

ولكن ابنه سليمان كان حاضراً يشهد هذه المحاكمة، وكان حينئذٍ في الحادية عشرة من عمره.

فابتدر أباه قائلاً لي رأي في هذه القضية، وهو أن يدفع أصحاب الغنم أغنامهم إلى أصحاب المزرعة فينتفع هؤلاء بأصوافها وألبانها ونتاجها. وأن يأخذ أصحاب الغنم المزرعة فيحرثوها ويزرعوها ويسقوها ويتعهدوها حتى يستوي الزرع، فإذا حان وقت حصاده سلّموا المزرعة إلى أصحابها وتسلموا منهم أغنامهم، فرضي الجميع بهذا الحكم.

وقال داود عليه السلام: وُفقت يا بنيّ بهذا الحكم، وحكم بما أفتى به سليمان، وهذا ما أشار الله سبحانه وتعالى به، فقال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ

وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[الأنبياء: ٧٨، ٧٩][1].

من أقوال وحكم داود عليه السلام:

كان داود عليه السلام لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً، كما قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

وعن عبادته وصلاته وقيامه قال رسول الله ﷺ: «**أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى**»[2].

ومن أقوال وحكم داود عليه السلام:

أنه عليه السلام قال: كن لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد.

وقال: مثل الخطيب الأحمق في نادي القوم كمثل المغني عند رأس ميت.

وقال عليه السلام: ما أقبح الفقر بعد الغنى، وما أقبح من ذلك الضلالة بعد الهدى.

وقال: انظر ما تكره أن يذكر عنك في نادي القوم، فلا تفعله إذا خلوت.

---

(١) «تفسير القاسمي»، جمال الدين الفاسي. (بتصرف).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه»: (٣٤٢٠)، ومسلم في «صحيحه»: (١١٥٩).

وقال عليه السلام: لا تعدن أخاك بما لا تنجزه له، فإن ذلك عداوة بينك وبينه[١].

وصية داود عليه السلام لابنه سليمان:

لما استخلف داود عليه السلام ابنه سليمان عليه السلام وعظه فقال له: يا بنيّ إيّاك والهزل فإنّ نفعه قليل ويهيج العداوة بين الإخوة.

وإيّاك والغضب فإن الغضب يستخف بصاحبه.

وعليك بتقوى الله وطاعته فإنهما يغلبان كل شيء.

وإيّاك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شيء فإن ذلك يورث سوء الظن بالناس وإن كانوا براء.

واقطع طمعك عن الناس فإن ذلك هو الغنى.

وإيّاك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وإياك وما يعتذر منه بالقول والفعل، وعوّد نفسك ولسانك الصدق، والزم الإحسان في قولك وعملك، وإن استطعت أن يكون يومك خيراً من أمسك فافعل وصلّ صلاة مودع، ولا تجالس السفهاء، ولا تردّ على عالم ولا تماره في الدين، وإذا غضبت فالصق نفسك بالأرض، وتحول من مكانك وارجُ رحمة الله فإنها وسعت كل شيء.

وفاته عليه السلام:

بيّن لنا رسول الله ﷺ وفاة داود عليه السلام فقال: «**كان داود عليه السلام في غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد**

---

(١) «صحيح قصص الأنبياء»، ابن كثير. (بتصرف).

حتى يرجع.

فخرج ذات يوم وغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار.

فقالت له: من أين دخلت والدار مغلقة؟ والله لنفتضحن بداود.

فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم في وسط الدار.

فقال له داود: من أنت؟

فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا أمنع من الحجاب.

فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحباً بأمر الله.

ثم مكث حتى قبضت روحه، فلمّا غُسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس.

فقال سليمان للطير: أظلي على داود.

فأظلته الطير حتى أظلت عليه»[1].

وكان قد شيع جنازته عليه السلام أربعون ألف راهب، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد كانت بنو إسرائيل أشد حزناً وجزعاً عليه منهم على داود عليه السلام[2].

* * *

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٤١٩).

(٢) «البداية والنهاية»، ابن كثير.